مجلة أبعاد/ مختبر الأبعاد القيمية للتحوّلات الفكرية والسياسية بالجزائر
جامعة وهران2 – المجلد 05 / العدد 02 ديسمبر 2019
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

إشكالية مفهوم النهضة عند مالك بن نبي
بين الدوافع الذاتية والعوامل الموضوعية

The problem of the renaissance concept according Malik Ibn Nabi between subjective motives and objective factors

أ.د رباني الحاج*[1]

[1] كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر – الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2019/10/22 | تاريخ القبول: 2019/11/23 | تاريخ النشر: 2019/12/31

ملخص: بعد فترة طويلة من الركود التاريخي والخلف الحضاري، اصطدم العالم الإسلامي بالحضارة الأوروبية التي اشتد عودها وأخذت في التوسع والانتشار خارج جغرافيتها الطبيعية، برز إلى السطح سؤال النهضة، كيف السبيل إلى النهوض من جديد؟

سؤال حرك الساحة الفكرية، فنتجت أجيال من المهتمين بنهضة العالم الإسلامي، ويع مالك بن نبي (1905- 1973) أحد هؤلاء إلا أن ما ميزه عن غيره هو اهتمامه بمشكلة النهضة في سياقها الحضاري الشامل، فأعطت تصوراته الحضارة موقفا يتوخى الأصالة في الطرح والانفتاح في المنهج والرؤية والدقة في النقد والتحليل، ورغم أن مفهوم النهضة عنده قام على خلفية دينية إلا أن ذلك لم يمنعه من نقد الواقع الإسلامي نقدا موضوعيا وتحليله تحليلا علميا.

كلمات مفتاحية: الإصلاح؛ الحضارة؛ الفكرة الدينية؛ العالم الإسلامي؛ التغيير.

Abstract: After a long period of historical stagnation and civilizational backwardness, the Islamic world collided with the European civilization, which grew stronger and expanded and spread beyond its natural geography. The question of moving the intellectual arena, resulted generations of those interested in the renaissance of the Islamic world, and Maal bin Nabi 1905-1973) one of these, but what distinguished him from others is his interest in the problem of renaissance in the context of civilization comprehensive, gave his perceptions of civilization a position of originality in the introduction and openness in the curriculum And

* الباحث المرسل: elhadj.rebani@univ-mascara.dz

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

the vision and accuracy in criticism and analysis, and although the concept of the Renaissance was based on religious background, but that did not prevent him from criticizing the Islamic reality in substantive criticism and analysis of scientific analysis.
Key words : reform, civilization, religious idea, Islamic world, change.

تقديم:

طرح مالك بن نبي (1905- 1973) رؤية فكرية حضارية لا زالت إلى اليوم محل اهتمام الباحثين وقد لعبت شخصية مالك بن نبي التي جمعت بين التكوين العلمي الدقيق والاهتمامات الفكرية ذات الطابع النظري المجرد دورا في خلق جو من الجدل والاختلاف حول فكره منهجا ومضمونا، فهو من جهة يطرح للبحث مواضيع مركبة ومعقدة لها ارتباط مباشر بالواقع الاجتماعي والسياسي والأخلاقي للمجتمع ومن جهة أخرى يعمل على صياغة رؤيته الفكرية والحضارية بشكل دقيق وواضح، وضوح ودقة المعادلات الرياضية، لكننا نرى من جهتنا أن هاجس النهوض الحضاري وتغيير الواقع الإسلامي، هو ما جعل مالك بن نبي يبحث عن مكامن الخلل لإصلاح هذا الواقع، فلم يكن هدفه الفهم والتحليل والتفسير لما يجري أمامه فحسب مثل ما فعل ابن خلدون(1332م- 1406)، بل أبعد من ذلك كان شغله الشاغل تغيير الأوضاع لكن ميزته هو أنه لم يقبل بفصل هذا الواقع عن الأفكار التي تصنعه وتنتجه وتنعكس عليه سلبا أو إيجابا، لذلك لم يفصل بين نقد وتحليل الواقع من جهة ونقد وتحليل الأفكار من جهة ثانية مما جعله يعطي للأفكار دورا مهما في إطار رؤيته الحضارية دون أن يعزلها عن الواقع الذي توجد أو تعمل فيه، وعليه نتساءل، إلى أي حد تلعب الأفكار السائدة دورا في بناء الحضارة وسقوطها؟ وكيف تصور مالك بن نبي بناء مشروعه النهضوي في سياق تحليله للواقع الحضاري الإسلامي؟ وما هو موقع أفكاره في خارطة الفكر الإصلاحي والنهضوي الإسلامي المعاصر؟ وماذا تبقى لنا من مشروع مالك بن نبي يمكننا أن نستفيد منه؟.

إن إعادة الاعتبار للاهتمام بالأفكار وما تلعبه من دور في حياة البشر القصد منه هو الانتقال من مرحلة اللامبالاة إلى مرحلة الانتباه والتفكير وإعمال العقل ونقد الفكر لتغيير الواقع، حتى يتم تجاوز التعايش مع واقع الضعف واعتباره أمرا طبيعيا مقدرا،

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

فهاجس مالك بن نبي هو إصلاح الفكر اعتقادا منه أنه أصل المشكلة الحضارية التي يعيشها العالم الإسلامي والإنسان المسلم.

ركز بن نبي على علاقة الفكر بالحضارة، فالحضارة هي إنسان و تراب ووقت، وبالتالي فالإنسان هو الأساس في هذه المعادلة، بل الإنسان في حد ذاته يشكل معادلة تقوم على الروح والعقل والغريزة، وهي بدورها عبارة عن مراتب في الوجود ومراحل في تاريخ الحضارة باعتبارها ثمرة الإنسان ككائن واعي ومفكر، ولذلك "فكل تغيير ثقافي كبير يؤدي إلى الإنتقال بالمجتمع إلى الشكل الذي يدفعه لى إنتاج حضارة عالمية، يتطلب تغييرا في الشخصية الإنسانية، بالمعنى الواسع الذي يتضمن، الروح الإنسانية، السلوك، العلاقات الإجتماعية وأسلوب الحياة، في هذا الصدد يؤكد لنا بن نبي أنه من الضروري تجديد الإنسان بحيث ينسجم مع التقاليد الإسلامية الحقيقية والمناهج العلمية الجديدة"[1].

بهذا المعنى لا يكون العقل جوهرا عند مالك بن نبي، بل هو تلك الأفكار التي تشكل وعيا فقط، فالعقل يتجلى من خلال أثاره متمثلة في الأفكار التي تنتسب إليه، وهذا يؤدي إلى نتيجة مفادها أن العقل ما هو إلا منتوج ثقافي وحضاري لمجتمع ما، ولكل حضارة طريقتها في الفهم والإدراك أي عقلانيتها الخاصة بها، كي تحدد موقفها من الكون ومن العالم المرئي واللامرئي.

ونشير في مدخل هذه الدراسة إلى أن أهمية الموضوع المطروح تتمثل في:

إعادة الإعتبار للطرح الحضاري لمشكلات الواقع الإسلامي، في ظل سياق معولم يروج لصدام الحضارات وأزمة العلاقة مع الذات ومع الآخر.

إعادة النظر في طبيعة الصراع الذي يحكم الساحة الفكرية في العالم العربي والإسلامي.

مراجعة علاقتنا بالفكرة الدينية وبشكل خاص، إعادة الإعتبار للطرح الحضاري لهذه الفكرة وإعادة النظر في بعض بعض أشكال الفهم المنتشرة للدين في وقتنا الراهن والتي تفرغه من مضامينه الحضارية والإنسانية وتحصره في بعده الفقهي والسياسي فقط.

[1] Faid, Salah. (2018). Culture et conversion culturelle dans l'Islam Dynamismes réflexifs de Malek Bennabi. revue el khitab, 12(1), 219- 241, p 220.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

هذا ما نتصور أن مالك بن نبي(1905م- 1973م) سخر له جهوده الفكرية، أي جعل النهضة مشروعا حضاريا شاملا واسع الأفق يستوعب الحاضر، دون أن ينقطع عن البنية الأساسية للمجتمع الإسلامي كما حصل مع بعض مشاريع النهضة السابقة،

ويبدو أن هذه الرؤية الشمولية عادت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر وهو ما ركز عليه المفكرون العرب أمثال عبد الله العروي وناصف نصار ومحمد أركون وغيرهم كل من منظور خاص به، لكن يظل مالك بن نبي يشكل رؤية عقلانية تحاول مقاربة الواقع الإسلامي بأكبر قدر من الموضوعية والواقعية والشمولية والروح النقدية التي تقوم على معادلة الإتصال والإنفصال مع جميع التيارات النهضوية مع تجاوز عثراتها ومحدودية تصوراتها لمسألة النهضة، يقول أحد الدراسين وهو على حق في ذلك فيما نتصور" أما جمال الدين الأفغاني(1839م -1879م) ومحمد عبده (1849م -1905م) فنظرا إلى ضرورة دراسة مقومات الحضارة الغربية والعناصر التي يمكن للمسلمين إقتباسها عن أوروبا دون التفريط في العقائد الدينية والحضارة الإسلامية، والتمييز بين الإسلام كدين والإسلام كحضارة، فالسياسة عندهما لها دور مهم في تخلف المسلمين[1].

هذا من جهة حصر الأزمة في جانبها السياسي، أما من جهة الانقطاع عن واقع المجتمع الإسلامي، فيقول " تتلمذ على الأفغاني، محمد عبده الذي أصبح محور جيل كامل من الأدباء الذين تهافتوا على رهن فكرهم بالفكر الغربي وقطعه عن الفكر الإسلامي. لذا ظلت الفكرة النهضوية فكرة مسطحة لم تلامس البنية الأساسية للمجتمع، إذ أنها تبنت دون قيد أو شرط خصوصية الفكر الغربي وعممته على العالم العربي والإسلامي."[2]

1- ثقافتان وحضارتان:

يقول بن نبي "بالإجمال فإن أوروبا ركبت في مضمون ثقافتها مزيجا من الأشياء والأشكال من التقنية والجمالية، بينما الشرق الإسلامي ركب في ثقافته مزيجا من فكرتين: الحقيقة والخير" [3]

[1] الموصللي أحمد. (2001). تجارب التنوير وإخفاقاتها في العالم العربي. مجلة عالم الفكر، (123- 142). الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 126.
[2] المرجع نفسه، ص 126.
[3] بن نبي، مالك. (2005). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط6. دمشق، دار الفكر، ص 18.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

المقارنة بين الغرب الأوروبي والشرق الإسلامي ليست قسرا على بن نبي بل هي المدخل الرئيسي للفكر الإسلامي المعاصر لجميه اتجاهاته الإصلاحية والحداثية.

فالانطباع بأن ثقافة الغرب في ثقافة مادية محصورة في الأشياء والأشكال والحس الفني والجمالي يكاد يكون حكما عاما لمفكري الإصلاح، على النقيض من ذلك تبلورت النظرة إلى الشرق الإسلامي أنه صاحب ثقافة يطبعها البحث عن الحقيقة الماوراثية والحس الأخلاقي الصارم، لكن تجاوز هذا الحكم العام يسمح لنا بالقول أن لكل ثقافة تصورها للأخلاق وللجمال والحقيقة، ولا يمكن لأي ثقافة ان تخلو من سؤال الأخلاق والحقيقة، من هنا ننبه إلى ضرورة إدراك الاختلاف بين ثقافتين بدل النظر إليهما كثقافتين متناقضتين كل واحدة منهما ترى وجودها في زوال وفناء الأخرى.

والحقيقة أن المفكر مالك بن نبي لا يعزل الأفكار عن سياقها التاريخي، فالأفكار تتغير وتتحول داخل الزمن ولذلك يخطئ من ينظر إليها كجواهر وماهيات ثابتة، فالفكر الغربي كما يرى بن نبي يجنح على ما يبدو أساسا إلى الدوران حول مفهوم الكم وهو عندما ينحرف نحو المغالاة فهو يصل حتما إلى المادية، وحينما يكون الفكر الإسلامي كما هو شأنه اليوم، فإن المغالاة تدفعه إلى التصوف، والمبهم والغامض وعدم الدقة، والتقليد الأعمى والافتتان بأشياء الغرب.

لكن هذا ليس مداره الأصلي، ففي الأصل حينما أعطاه القرآن اندفاعه الأولي اتخذ الفكر الإسلامي مداره أساسا حول فكرة واحدة تكون حينا "حب الخير" وحينا آخر "كره الشر"[1].

البداية تحدد النهاية، فالارتباط بالأشياء يؤدي إلى المادية والارتباط بالأفكار ينتهي إلى التصوف والزهد، وكأن هذا التحليل والمقارنة يشيران إلى عقلانية مالك بن نبي التي تعمل على إيجاد الصلة السليمة بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، بشكل يؤدي إلى تجنب الوقوع في المادية من جهة والصوفية من جهة أخرى.

لكننا نتساءل، هل نستطيع فعلا أن نحافظ على الأفكار في أصالتها التي انبثقت منها وتولدت عنها؟ أو بالأحرى هل تستطيع حضارة ما أن تحافظ على أصالة الفكرة التي قامت وتأسست عليها؟.

[1] بن نبي، مالك، المرجع السابق، ص 24.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

يقول بن نبي "إن حضارة ما، هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي يدخل بها التاريخ.

ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى.[1].

إن نهضة أي مجتمع مرهونة بقدرته على استيعاب عناصر حضارته الأساسية من أجل النهوض من واقع الانحطاط الذي يوجد عليه، أي قدرته على تكوين إطار عام لحركته في التاريخ والزمن، فمن دون ذلك تبقى حركته عاجزة عن تحقيق نهضة حضارية شاملة تنقله إلى وضع جديد يختلف فعلا عن الوضع القائم، وبذلك يكون بن نبي "قد انطلق في تحديد مفهومه للحضارة من خلال تأملاته في حركة النهضة في العالم الإسلامي التي تأثرت بالحضارة الغربية في سعيها لمحاولة تجاوز الوضعية المأساوية التي خبرها هذا العالم، حيث يرى أنه إذا كان الهدف هو تحصيل حضارة فإن الجهود التي تبذل لن تصل إلى نتيجة، لأنها لم تتعمق القضية جيدا[2].

التعمق في فهم واقع العالم الإسلامي يعني تحليل وفهم هذا الواقع في سياقه الثقافي والحضاري وليس مجرد واقع تشكله ظواهر تطفو على السطح، فنجعلها تغطي على الواقع الفعلي، لذلك يرى مالك بن نبي أن "حركة النهضة العربية كانت تسير على بطء ثم إنها لم تكن تتجه نحو إنشاء حضارة أو على الأقل أنها لم تنظم اتجاهها نحو الحضارة" [3].

يقترب هذا التشخيص لحركة النهضة العربية من تشخيص عبد الله العروي عندما يستنتج أنه "قليلون فقط انتبهوا إلى أن العقيدة والديمقراطية والتقنية لم تكن وحدها كافية كي يكسب العدو المعركة ويكرس تفوقه، وإنما كان وراء تفوقه وغلبته عقلانية التنظيم الاجتماعي وحرية الفرد وتحرره، أي ما لم يكن في جملة الوعي العربي وإشكاليته أو في نطاق أولويات التفكير لديه"[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص 41.

[2] سعود، الطاهر. (2006). التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1. بيروت، دار الهادي، ص 120.

[3] صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، فكر الحركة وحركة الفكر، ط1. الجزائر، دار قرطبة، ص 82.

[4] بلقزيز، عبد الإله. (2009). من النهضة إلى الحداثة، ط1. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 193.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

حصر مشكلة النهضة في جانب واحد من جوانبها، يجعل تصور مفهوم النهضة قاصرا، فالانحطاط ليس سياسيا فقط ولا دينيا فقط ولا تقنيا وعلميا فحسب.

إن الخلل يقع وراء ذلك كله حسب مالك بن نبي إنه انحطاط حضاري يكمن في فقدان القدرة على استعادة الفكرة الموجهة للإنسان والتي تعمل على ضبط علاقته بالتراب والوقت وتمنحه نفسا منتظما يساعده على الفعل والعمل بوعي من أجل غاية أخلاقية وحضارية، فماذا تكون هاته الفكرة في نظر مالك بن نبي؟

2- الفكرة الدينية والنهضة الحضارية: أي معنى؟

لم يكن مالك بن نبي (1905م- 1973م) أول من أعطى للفكرة الدينية أهمية قصوى يمكن أن تؤديها في التاريخ، فالنهضة العربة الإسلامية ارتبطت بالفكرة الدينية منذ بوادرها الأولى في إطار ما أطلق عليه الإصلاح الديني، لكن خصوصية بن بني أنه أعطى لهذه الفكرة وما تلعبه تصورا خاصا تجاوز رؤية رواد الإصلاح الديني والمدافعين عن محورية دور الدين في تحقيق النهضة المطلوبة بصفة عامة، إذ أنه حاول أن يبين سعة أفق الفكرة الدينية، بحيث تستطيع أن توفر الشروط الموضوعية للنهضة، فهو يقول "وحينما حدث لهذا المجتمع تحول من المجتمع البدائي إلى المجتمع الحضاري لم يكن باستطاعة المؤرخ وعالم الإجتماع أن يلاحظ في هذه الحقبة من الزمن ظهور أي حادث جديد يفسر هذا التغيير فالعالم الثقافي الذي ظهر مع الفكرة القرآنية قد كان الحدث الوحيد. والعلاقة السببية بين الحدثين: القرآن والحضارة بادية بشكل صارم عبر تلازمهما، فالفكرة الإسلامية هي التي طوعت الطاقة الحيوية للمجتمع الجاهلي لضرورات مجتمع متحضر"[1].

نركز في هذا القول على عبارة "لم يكن باستطاعة المؤرخ وعالم الاجتماع أن يلاحظ في هذه الحقبة من الزمن ظهور أي حادث جدد يفسر هذا التغيير"، أي أن ميلاد مجتمع متحضر لم يكن وليد عوامل موضوعية تسببت في هذا الانتقال من حال إلى حال، العامل الوحيد الذي ظهر فجأة وحول الأوضاع بشكل جذري هو الوحي الذي نزل كالغيث على قلوب الأفراد فجعلها تنفصل عن ثقافتها المحدودة فكريا وجغرافيا لترتبط بثقافة جديدة مرتبطة بالمطلق الذي يتجاوز كل نزعة عرقية وجغرافية، إن مالك بن

[1] بن نبي، مالك. المرجع السابق، ص 52.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

نبي يشير هنا إلى حصول انقلاب في وجدان الإنسان العربي وفكره والاستجابة لجاذبية السماء ضد جاذبية الأرض، بل تحول عالم السماء بما يحمله من حقائق إلى عالم موضوعي بينما أصبح عالم الأرض عالما ذاتيا عاطفيا خال من أي مضمون عقلي وهذا عكس ما كان حاصل من قبل تماما.

لكن علينا أن نحذر من جعل الفكرة الدينية عند مالك بن نبي فكرة دوغمائية منغلقة على ذاتها لا تتأثر بالظروف التي تحيط بها، كما نجد ذلك عند بعض مفكري الإصلاح الديني عل غرار سيد قطب (1906- 1966) الذي يفصل بين الفكرة الدينية والعالم الذي توجد فيه عندما يرى أن "العالم يعيش اليوم كله في "جاهلية" من ناحية الأصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة، وأنظمتها جاهلية لا تحقق منها شيئا هذه التيسرات المادية الهائلة وهذا الإبداع المادي الفائق".[1]

بل لهذا السبب كان الاختلاف واضحا بين مالك بن نبي وسيد قطب ما جعل باحث مثل فهمي جدعان يذهب إلى القول أن "سيد قطب لم يكن يعنى كثيرا أو قليلا بالتحليلات الفلسفية كما هو الحال عند مالك بن نبي، ويمكن القول أنه كان خصما للفكر الفلسفي النظري المجرد وأن المقدمات أو الأسس الفلسفية للإيمان غائبة عنده غيابيا واضحا، فهو يقرر قضايا مباشرة كما لو كانت القضية الفلسفية العلمية للإيمان محلولة تماما".[2]

في هذا إشارة واضحة إلى الحس النقدي والإشكالي الذي يتميز به مالك بن نبي، لذلك فهو يدرك تركيب القضايا وتشابكها فيعمل على تحليل العلاقة بين عناصرها، دون إصدار أحكام عامة قطعية، فما يميزه هو إرادة الفهم لإعطاء تفسير موضوعي للواقع الإسلامي قبل إصدار أي حكم نهائي، وهذا ما جعله لا يجاري رجال الإصلاح الديني الذين انطلقوا من تصور خاطئ مفاده أن الإنسان المسلم فقد عقيدته وإيمانه وأن الإصلاح يبدأ من هنا أي إصلاح العقيدة، وذلك بإحياء علم الكلام، في حين يرى مالك بن نبي أن كل من محمد عبده ومحمد إقبال "ظن أنه من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس بيد أن كلمة "علم الكلام" ستصبح

[1] صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، الجهاد الفكري الفردي، ط1، الجزائر، دار قرطبة، ص 41.
[2] المرجع نفسه، ص 65.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

قدرا مسلطا على حركة الإصلاح القدر الذي حاد بها جزئيا عن الطريق حين حط من قيمة بعض مبادئها الرئيسية لمبادئ السلفية"[1].

التركيز على إصلاح العقيدة يوهمنا في نظر مالك بن نبي أن المسلم فقد عقيدته في حين الأمر ليس كذلك، فالخلل ليس في العقيدة بقدر ما هو في مجتمع تفككت علاقاته وروابطه الاجتماعية، فأصبح الإيمان فرديا عاجزا عن أداء وظيفته الاجتماعية وبالتالي الحضارية،كما اعترض في الوقت نفسه على الرؤية المادية للإصلاح لهذا "رفض بن نبي ما سماه النظرة الإقتصادوية التي أخذت إلى جانب التقدم التكنولوجي أولوية كبيرة في العالم الإسلامي على حساب القيم الحضارية، أي القيم الثقافية"[2]، فالإصلاح مع مالك بن نبي ينتقل موضوعه من العقيدة إلى المجتمع، ونلمس في هذه الرؤية حسا خلدونيا، أي تركيزا على الواقع الاجتماعي بدل البقاء في تحليلاته على مستوى الفكرة النظرية أو الايدولوجية فهو يرى أن "باعث النهضة في العالم الإسلامي وهو الشيخ محمد عبده كان مصلح عقيدة لا مصلحا اجتماعيا"[3].

ليست المسألة عقائدية دينية كما فهم ذلك محمد عبده وهو رائد النهضة والإصلاح، يقول هشام جعيط المفكر والمؤرخ التونسي أن "مصلحي الإسلام كمحمد عبده أو شكيب أرسلان وغيرهما لم يطرحا التساؤل كما يجب، بل إن السؤال: لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا؟ غير جائز كما أن الجواب، جواب محمد عبده، وإن كان له معنى في زمانه فهو ليس بمقنع في حد ذاته، فالمسألة ليست دينية، والحداثة ارتكزت على نفي الدين بتاتا بفرنسا وإخراجه أكثر فأكثر من اللعبة السياسية والاجتماعية في البلدان الأخرى"[4].

بين من يضع المشكلة، مشكلة النهضة بكاملها على عاتق الدين وبين من ينفي أن يكون للدين أي دور أو وظيفة يمكنه أن يقدمها، تقع تحليلات مالك بن نبي الحضارية، فهو يتجاوز بذلك الرؤية العقائدية للدين كما يتبناها هؤلاء وهؤلاء، أي خصوم العقيدة والمدافعين عنها، فيرى في الدين الفكرة الوظيفية التي تدفع من يقتنع بها إلى الفعل

[1] المرجع نفسه، ص 65.

[2] Faid, Salah , Faid, Salah. (2018). Méditations de Malek Bennabi autour d'une démocratie islamique. Journal of Social Sciences and Humanities, 14(7), 844- 863.p 852.

[3] صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 88.

[4] البيلاوي، حازم وآخرون. (2000). النهضة العربية الثانية، تحديات وآفاق، ط1. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ص 75- 76.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

والحركة وتزوده في ذلك الفعل وتلك الحركة بمعنى يسمح له بمواجهة التحديات التي تواجهه على المستوى الداخلي والخارجي، النفسي والاجتماعي، ولذلك فالفكرة الدينية قد تتراجع وتضمحل لكن من غير الممكن أن تزول وتتلاشى حتى نعمل على إقصائها نهائيا أو نغرسها من جديد، التحدي الذي يواجهنا هو كيف ننقل مقتضيات العقيدة من مجال الإيمان إلى مجال العمل، وهذا أمر في حد ذاته ليس سهلا.

يقول برهان غليون "من الملفت للنظر أن جميع التيارات الفكرية التي تتصدى للمشكلة أصبحت تقيم تطابقا كليا، بوعي أو بشكل مضمر، بين التراث والدين....ولا يسيء هذا الطرح التيارات السياسية الدينية بل إنه يثلج صدرها، فهي أيضا لا ترى من الدين والتراث إلا ما يمكن أن يقدمه كسلاح في المعركة السياسية"[1]. وعليه حصر الدين في بعده السياسي هو في حد ذاته مشكلة، بل حتى في الجانب السياسي يرى مالك بن نبي أن " الفرق بين مفهوم الديمقراطية الإسلامية والمفاهيم الديمقراطية الصينية والروسية والبريطانية أو الفرنسية هو أن الإسلام يمنح للإنسان معنى يتجاوز كل قيمة سياسية أو إجتماعية. في حين مفاهيم ديمقراطية أخرى تكشف لدى الإنسان حضور الجانب الإنساني والإجتماعي، الديمقراطية الإسلامية تعترف للإنسان كصورة لشخص الله، بعبارة أخرى، التعريف الأول ذو طبيعة لائكية، في حين أن التعريف الثاني ذو طبيعة مقدسة[2] فحضور الدين عند مالك بن نبي ليس كعقيدة مجردة بل قيم تحرك الإنسان في مجال العمل والسلوك فتصبح له بمثابة الضمير الذي يمثل محكمة داخلية له.

3- وضع الفكرة الدينية في إطارها:

تتجاوز الرؤية الحضارية لدى مالك بن نبي هذا الإطار، إطار التوظيف السياسي للفكرة الدينية، فالفكرة الدينية هي روح تسري في الجسد الاجتماعي قبل أن تكون شكلا من أشكال التنظيم الحزبي أو السياسي أو الإيديولوجي، لذلك من غير الممكن حصرها في هذا الإطار الضيق، لأنها هي المحرك لعوامل الحضارة الأساسية أي الإنسان والتراب والوقت، ولعل حصرها في إطارها الضيق هذا هو ما أدى إلى نتائج سلبية على المجتمع والإيمان والحضارة، فمالك بن نبي بقدر ما كان مهتما بالتغيير بقدر ما كان

[1] غليون، برهان. (1990). اغتيال العقل، محنة العربية بين السلفية والتبعية، الجزائر، موفم للنشر، ص 213.
[2] Faid, Salah , op.cit, p 856

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

ملتزما بالفهم والتحليل العلمي والموضوعي للواقع الإسلامي المعاصر، ونقده والكشف عن جوانب القصور فيه مما جعله يختلف عن أصحاب المواقف الراديكالية على غرار أنطون سعادة الذي "ينفي الإصلاح مؤكدا أنه لا يرجى إصلاح دنيوي من الدين لأن الله شرعه للعبادة لا غير، فالمدنية الحقيقية هي ثمرة الفصل بين الدنيا والدين، أما الأستاذ أي محمد عبده، فإنه يدعو اليوم إلى الإصلاح بالدين أي زيادة توثيق العرى بين الدنيا والدين"[1].

4- مالك بن نبي بين الإصلاحيين والنهضويين:

مثل ما اختلف مالك بن نبي مع سيد قطب بشكل واضح ومباشر، هاهو يختلف عن النهضويين في صورة "أنطون سعادة" الذي ينفي أن تقوم النهضة العربية على فكرة الإصلاح الديني، فالتحليلات الموضوعية جعلت بن نبي يتميز عن غيره من رجال النهضة، بالتزامه شكل من الحياد تجاه الموضوع المدروس، بحيث يبدوا الإيمان الديني عاملا موضوعيا وليس عاملا ذاتيا تم إقحامه في الواقع الإسلامي، فالواقع الإسلامي لم يخلو أبدا من عاطفة التدين، تفعيل هذه العاطفة ورفعها إلى مستوى حضاري هو العمل الذي ينتظرنا.

يقول بن نبي في سياق سجالي بينه وبين سيد قطب "لقد أراد أحد المفكرين أن يضع خطة مؤلف اختار له عنوان "نحو مجتمع إسلامي متمدن: ولكنه فكر فعدل العنوان بالصورة التالية: نحو مجتمع إسلامي، ولقد استبعد مشكلة الإسلامي الحاسمة من بحثه حين اعتقد وحملنا على الاعتقاد بأن المجتمع الإسلامي هو على وجه التحديد "متمدن" فكم كان يمكنه أن يخدم المصلحة العليا في العالم الإسلامي لو أنه وقف موقفا موضوعيا إلى النهاية معتبرا أنه يوجد فعلا "مجتمع إسلامي" ولكنه موجود في حال "بادرة حضارة" وأن من الأوفق أن نواجه مشكلة حضارية"[2].

تكشف لنا هذه الملاحظة الدقيقة عن الحس المنهجي النقدي الصارم لدى مالك بن نبي، فتقرير الواقع الإسلامي شيء، والتعبير عن الرغبة الذاتية شيء آخر، فكون المجتمع "إسلامي" لا يمنعه من الدراسة الموضوعية والتحليل الدقيق، فالإيمان الديني لا يجب

[1] باروت، محمد جمال. (2004). الدولة والنهضة والحداثة مراجعات نقدية، ط2. سوريا، دار الحوار، ص 112.
[2] بن نبي، مالك. (1986). مشكلات الحضارة، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

أن يقف عائقا أمامنا لكي نفهم واقعنا كما هو دون خوف، إذ أن تشخيص المرض شرط أساسي لتحديد العلاج.

هذا الموقف النظري والمنهجي المتجرد، هو الذي جعل مالك بن نبي يظل عصيا على التصنيف السطحي المألوف، فتصوره للدين باعتباره فكرة تزرع الروح وتبعث الحياة في ضمير الفرد والمجتمع، جعله يشق طريقا جديدا عن الإصلاحيين الأوائل وعن النهضويين الذين استلهموا النهضة الأوروبية واتخذوها معيارا لهم رغم أن الفرق واضح بين المسارين الإسلامي والأوروبي، فإذا كانت "إشكالية الإصلاح الإسلامي في نفي العلاقة العلنية بين الإسلام والتأخر والبرهان على أن طبيعة الإسلام تقبل استيعاب المدنية الحديثة فإن إشكالية الإصلاح البروتيستانتي في الفصل بين "مملكة قيصر" ومملكة الله" واعتبار أن "مملكة الله ليست من هذا العالم"[1].

لا ينزل مالك بن نبي بالدين إلى حلبة الصراع الإيدولوجي كما أنه لا يخرجه من العالم، يظل الدين فاعلا في هذا العالم وحاضرا فيه بما يقدمه من طاقة روحية ومعنوية تعطي للحركة على الأرض معنى حضاري وإنساني أكثر تحررا وتنزها، ولعل الباحثة "شربل داغر" لم تخطئ حين قالت "قد يكون من المفيد أن ندفق في تسمية "النهضة" نفسها، لأنها ستبدو، لو أخذناها بمعناها الأوروبي، غير مناسبة ومضللة"[2].

وهذا الفارق هو ما استشعره مالك بن نبي دون أن ينفي عن النهضة الأوروبية خصوصيتها وأصالتها، أي ذاتيتها، ولذلك يرفض أن يتنكر للواقع الحضاري المتفاوت بين الغرب والمجتمع الإسلامي ويحاول بذلك أن يقدم تعريفا للنهضة يستلهمه من واقع العالم الإسلامي كما أنه يستشعره من واقع الحضارة الأوروبية، فيرى أنها تتمثل في "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تسمح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه"[3].

[1] باروت، محمد جمال، المرجع السابق، ص 218.
[2] شربل، داغر. (2000). السؤال عن النهضة تحديثا للأمل. في كتاب شربل داغر وآخرون، عصر النهضة مقدمات ليبيرالية للحداثة، (17- 31) بيروت، المركز الثقافي العربي، ص 22.
[3] بن نبي، مالك. المرجع السابق، ص 46.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

نلاحظ كيف يقدم مالك بن نبي تعريفا تحليليا مجردا للنهضة، إذ أن كل نهضة مهما كان مكانها وزمانها تحتاج إلى شروط معنوية ومادية يمتلكها الإنسان فتغيير ما بأنفسنا لا يتم بمعزل عن تغيير واقعنا الاجتماعي والتعرف على حقيقتنا في سياقنا الاجتماعي والتاريخي لذلك يقول عبد الله العروي "أخطر ما ينتج عن وضعية الحجر ويصعب التخلص منه هو انعكاس مفهوم الإصلاح، لم يعد ينصب على الموضوع، على المحيط الخارجي، لأن هذا أصبح حكرا على الأجنبي الحاكم، فيتحول إلى الذات وينعكس بذلك معنى "تغيير النفس" عوض أن يكون ذلك التغيير خطوة تمهيدية للشروع في الإصلاح يعود شرطا تعجيزيا... ثم يضيف، ندعو باستمرار إلى تغيير النفس لكن لا يجب أن نتعرف على حقيقة تلك النفس، لا كما خرجت من يد خالقها، بل كما تركتها عقود عديدة من الحجر والوصاية"[1].

هذا ما يطلق عليه بن نبي، إنسان ما بعد الموحدين، إنسان فقد الشروط الأخلاقية والمادية التي تمكنه من الانخراط في الحضارة، أي فقد الروح التي تدفعه إلى بذل الجهد وتوجيه الطاقة التي يمتلكها، أي أنه فقد الصلة بالفكرة الأساسية، فالفكرة الدينية بهذا المعنى هي كل فكرة تجعلنا نعمل على ضوئها ونعطيها مكانة خاصة بها، نميز من خلالها بين الخطأ والصواب، ولذلك يحصل الاختلاف بين مالك بن نبي وسيد قطب بسبب فهمهما المختلف للفكرة الدينية في حد ذاتها، فيرد سيد قطب بالقول "أنا أعذر هذا الكاتب لقد كنت مثله من قبل، كنت أفكر على هذا النحو الذي يفكر به هو عليه الآن، عندما فكرت في الكتابة عن الموضوع لأول مرة وكانت المشكلة عندي، كما هي عنده اليوم، هي مشكلة تعريف الحضارة، لم أكن قد تخلصت بعد من الرواسب الثقافية في تكويني العقلي والنفسي وهي رواسب آتية من مصادر أجنبية غريبة عن حسي الإسلامي"[2].

الدعوة إلى الموضوعية ومواجهة مشكلات الواقع الإسلامي كما هو على حقيقته، تعتبر فقدانا للحس الإسلامي وتعتبر اغترابا عنه واستلابا للوعي وفقدانا للأصالة، وكأننا لازلنا نعيش اللحظة التي عاشها كل من مالك بن نبي وسيد قطب، صراع بين الروح

[1] العروي، عبد الله. (2000). إرث النهضة وأزمة الراهن. في كتاب شربل داغر وآخرون، عصر النهضة مقدمات ليبيرالية للحداثة، (277- 293) بيروت، المركز الثقافي العربي.
[2] صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص ص 107- 108.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

العلمية والنقد الموضوعي من أجل البناء وإعادة الانطلاق وبين الروح الذاتية ورفض عقد علاقة تفاعلية بين الفكرة الدينية والواقع الذي توجد فيه، فيصبح مالك بن نبي بمنهجه التحليلي النقدي والتاريخي غريبا تابعا لثقافة أخرى فاقدا للأصالة، يتصور الحضارة والنهضة تصورا غربيا، رغم أنه يقول "وجملة القول أن الوسيلة متوفرة ما دامت هناك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة: الإنسان، التراب، الوقت، لتركب منها كتلة تسمى في التاريخ "حضارة".[1].

الإيمان بالفكرة شيء والعمل بها شيء آخر عند مالك بن نبي، فالمسلم عندما يفقد القدرة على العمل بالفكرة التي يؤمن بها يفقد صفة الحضارة وإن ظل في وجدانه مسلما، فالعقيدة شيء وتفعيلها في الواقع الإسلامي شيء آخر، ونقد الواقع ليس نقدا للعقيدة، كما أن نقد الواقع الإسلامي ليس نقدا للإسلام، والمهمة الأساسية لمالك بن نبي هو إعادة تفعيل الروح الإسلامية وليس إثبات صحة العقائد الإسلامية لأن ذلك بالنسبة إليه متجذر في ذاتية ووجدان كل مسلم على عكس ما اعتقد رجال الإصلاح الذين تصوروا أن المشكلة عقائدية دينية محضة أي جهل الناس بالدين وتخليهم عنه وبالتالي ضرورة البدء من الصفر وليس استئناف المسار.

5- الإيمان الديني والتحليل الموضوعي:

لم يلغي مالك بن بني المؤثرات النفسية والاجتماعية لذلك جعل من الإنسان عاملا مهما في معادلته الحضارية، فهو يقول أن "الحق ليس هدية تعطى، ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب فهما متلازمان، والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي.

وإنها لشرعة السماء: غير نفسك، تغير التاريخ !".[2]

يظل مالك بن نبي فيما نتصور وفيا لحركة الإصلاح، لكنه يعطي الإصلاح مجالا أوسع مما أعطاه رواد هذه الحركة، بحيث نقله من العقيدة إلى الإنسان في أبعاده النفسية والاجتماعية، هذا من جهة، من جهة أخرى، انتقل بالإصلاح من الخطابات الوعظية والإرشادية إلى المنهج الدقيق القائم على التحليل والتركيب أي تحول بالإصلاح

[1] بن نبي، مالك. (1981). الفكرة الأفروآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا، دار الفكر، ص ص 57- 58.
[2] بن نبي، مالك، المرجع السابق، ص 32.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

من خطاب موجه للوجدان عن طريق الترغيب والترهيب والأمر والنهي إلى خطاب قائم على العقل والمنطق والفهم المجرد السليم، من هنا يقول "إننا نجد في القرآن الكريم النص المبدئي التاريخي التكويني (Bio histoire) "(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)" وينبغي ألا نقرر هذا المبدأ حسب إيماننا به فقط، بل يجب أن يكون تقريره في ضوء التاريخ"[1].

ما يوجه فكر مالك بن نبي ليس الإيمان فحسب، بل موضوعية الفكرة ومدى إمكان تحققها أم لا، وهذا يذكرنا مرة أخرى بعقلانية ابن خلدون الذي يشيد به- بن نبي- في كتبه، العلاقة بين الداخل والخارج، بين العقل والتاريخ، بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل بتعبير أرسطو،أو كما يعبر عن ذلك عبد الله العروي بعقل الإسم وعقل الفعل.

ولهذا فمالك بن نبي " ينتقد كلا الفريقين التحديثيين والإصلاحيين، بأنهم لم يحددوا بدقة مكمن الأزمة، فاتجه كل إلى عرض من أعراضها، في حين أن الأزمة أعمق من هذه الأعراض كلها، إذ أن المسلم لم يفقد إيمانه بالله في أي لحظة من لحظات التاريخ، كما أن الخلق الإسلامي لم ينعدم بين المسلمين لكن عقيدته تجردت من فاعليتها"[2].

يبحث مالك بن نبي عن كيفية تفعيل هذا الإيمان وإحيائه في النفوس لأنه لا يعتقد أن الإنسان المسلم انفصل عقيدته، بل أصبح لا يعمل بها ولا يتأثر بها فبقيت فكرة مجردة بعيدة عن تأثير في الواقع الإسلامي رغم التحديات التي يواجهها هذا الواقع، فالمسألة في أساسها مرتبطة بالفكرة الدينية التي يرى مالك بن نبي أنها " ليست نسقا من أفكار الغيبية فقط، ولا يقصرها على الدين السماوي فقط، بل هي قانون يحكم فكر الإنسان، ويوجه بصره نحو أفق أوسع...وهي كل فكرة تقدم معبودا غيبيا ووعدا أعلى ابتداءا من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات "[3]..

فالفكرة الدينية بهذا المعنى هي كل فكرة لها تأثير على الفكر وأثر في النفس، تجعل الفرد يستجيب لها ويثق فيها بغض النظر عن مدى صدقها و صحتها في حد ذاتها، فهي توجه الفكر وتعطيه معنا نهائيا تتجه نحوه كل الجهود المبذولة، فتمنحه معنى متساميا

[1] المرجع نفسه، ص 49.
[2] بدران مسعود، بن الحسن. (2000). الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1. قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ص 47-48.
[3] المرجع نفسه، ص97- 98 .

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

يغذي الفكر والروح ويعطيها طاقة تدفعها من مجرد الاعتقاد إلى الفعل والحركة وهو ما يخلق شبكة علاقات اجتماعية موحدة.

فتغيير النفس والنهوض بالإنسان هو التحدي الذي يواجهه من يتجه إلى إصلاح الخلل الذي أصاب الإنسان المسلم وجعله غير قادر على الإنتقال بالفكرة الدينية من فكرة غيبية سماوية إلى فكرة ذات وظيفة إجتماعية وحضارية على الأرض، دون إحياء هذه الفكرة في الوجدان ستظل تلك الفكرة الدينية عاجزة عن التأثير والمساهمة في تغيير الواقع الإسلامي.

وعليه فدون معرفة ربط الفكرة الدينية بالوجدان الإسلامي وإدراك كيفية تعلقه بها وارتباطه بها، لا يمكن فهم الواقع الإسلامي في شموليته فهما علميا وموضوعيا في تصور مالك بن نبي، لأن الفكرة الدينية ليست غيبية بالمعنى الميتافيزيقي الماورائي المطلق كما يظن البعض، بل هي حاضرة في الوعي الإنساني ذات صلة مباشرة بالجانب النفسي والإجتماعي للبشر فهي تصنع التاريخ أو تعطله وفقا للحالة التي تكون عليها، لذلك يقول مالك بن نبي "وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل، تنطلق غرائز الدنيا من عالقها، لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية"[1].

يرى بن نبي أنها دورة طبيعية تمر بها جميع الحضارات، هذا ما يكشفه لنا التاريخ، ومن هنا يقرر أن " المدنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية، إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها، بعد أن تفقد الروح ثم العقل".[2]

لم يقف مالك بن مالك بن نبي عند حدود الإيمان الديني المنغلق على ذاته، بل تجاوز ذلك إلى موضوعية الواقع التاريخي وهو ما جعله يثير شكون المخالفين له من الإصلاحيين والحداثيين معا، ذلك أنه بموضوعيته التي استقاها من تكوينه العلمي الدقيق ومن معايشته الفعلية لواقع حضارتين محوريتين في التاريخ استطاع أن يتجرد من العديد من الأحكام التي تؤدي به إلى الإنغلاق الإيديولوجي والتطرف الفكري، فبقيت تحليلاته واستنتاجاته متحررة، تستهدف الفهم والتفسير الموضوعي لعطالة الواقع

[1] بن نبي، مالك، المرجع السابق، ص 53.
[2] مرجع نفسه، ص 53

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الإسلامي على ضوء تجاربنا الخاصة وتجارب الحضارات الإنسانية عامة. وعليه نخلص من هذا البحث إلى نتائج يمكننا إيجازها كما يلي:

- إنطلق مالك بن نبي في بناء رؤيته للحضارة من معطيات موضوعية جعلته يقلص المسافة التي تباعد بين الإصلاحيين والحداثيين.
- لم يلغي مالك بن نبي الفكرة الدينية لكنه لم يفصلها عن الواقع الإنساني والطبيعة البشرية، فهاته الفكرة تتفاعل مع المحيط وتعمل على تطويره وتغييره بشكل تدريجي.
- استخلص مالك بن نبي أن النهضة تحتاج إلى شروط مادية وأخرى معنوية فالشروط المادية ضرورية لكنها غير كافية لبناء حضارة.
- انتقلت الفكرة الدينية من بعدها الميتافيزيقي الغيبي إلى بعدها النفسي الاجتماعي الإنساني، فما لم يحدث تغير في نفوس الأفراد لا يمكن للفكرة الدينية أن تفعل شيئا في واقعهم الاجتماعي وعليه فالتغيير يبدأ من النفس وليس بالجدل حول العقيدة، فاستبطان العقيدة والتحول بها إلى مجالات الفعل والسلوك هي المشكلة الأساسية وبإيجاد حل لها نتجه نحو النهضة الحضارية الشاملة.
- وسع مالك بن نبي مفهوم الدين بالمعنى الفقهي الشرعي إلى المفهوم الأخلاقي الحضاري الروحي لذلك ينطوي تصوره للنهضة على قيم التسامح والانفتاح على الآخر والاستفادة من تجربته الحضارية.
- كرس مالك بن نبي جهوده ليربط الصلة بين الدين والعلم، فالإيمان أو الفكرة الدينية ليست عائقا لفهم الواقع الإسلامي بشكل علمي وعقلاني، بل عدم أخذها بعين الاعتبار سيبعدنا عن فهم وتفسير هذا الواقع على النحو الصحيح، شريطة أن لا نحصر هاته الفكرة في نطاقها الضيق كما فعل بعض رجال الإصلاح.
- الانعتاق من الإيديولوجيا والإنفتاح على الواقع لا يمكن أن يتم إلا بالالتزام بالموضوعية والروح النقدية.

الخاتمة:

إن التجربة البنابية " مالك بن نبي " تجربة تظل تحمل في طياتها تلك الروح الحية التي ترفض الإنخراط في الأطر الفكرية الجاهزة، فالنقد القوي والجريء الذي قدمه مالك بن نبي للواقع الإسلامي لم يكن ليكون لولا تلك الروح النقدية الرافضة لأي شكل

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

من أشكال الإنحياز الإيديولوجي ولنا في ذلك مثالا في فكرته عن " القابلية للإستعمار" التي أثارت عليه الكثير من الخصوم، مع أن واقعنا الراهن يعطيه الكثير من الحق فيها، فرغم الإكتفاء المادي لمجتمعاتنا، إلا أنها لا زالت ضعيفة وعاجزة عن مواجهة التحديات التي تواجهها ذلك أن النفوس لا زالت عاجزة عن إتخاذ موقف متحرر يخرجها من حالة الضعف إلى حالة النهضة التي قارب زمن انتظارها ما يزيد عن قرنين كاملين.

إن روح البنابية لا زالت تسري بيننا، من حيث هي موقف ومنهج، جمع بين ذاتية الإنتماء الديني وموضوعية الإنتماء الحضاري، فالفكرة الدينية رغم إنتمائنا إليها إلا أنها لن تحقق نهضة من تلقاء ذاتها ما لم ندرك سنن الحضارات وقوانينها التي لا تنحاز لأي انتماء، فالدين لا يثمر حضارة إلا إذا تحول إلى فكرة واضحة في الأذهان والوجدان، وهذا مالم يمنع مالك بن نبي من الإنفتاح على الحضارة الغربية، كحضارة قوية في زمنه ليستخلص منها قوانين القوة والتفوق دون عقدة دونية أو عقدة غرور وتجاهل كما يفعل الكثير منا اليوم، فروح بن نبي كانت منافية للمثالية في جميع أشكالها وصورها، ومن ثم تعلمنا تجربة مالك بن نبي اليوم كيف نتحلى بالواقعية دون أن يستعبدنا الواقع ويدفعنا إلى تكريسه كما هو دون قدرة على النقد الموضوعي والتغيير المدروس، هذا الإنفتاح الذي يجعل البعض يعلق على المعادلة الحضارية لمالك بن نبي قائلا: إذا أخذت الحضارة الغربية في استغلالها للتراب أحسن استغلال إضافة إلى الاستفادة الجيدة بالوقت ولكن لم يختنق الإنسان في أية حقبة تاريخية سابقة كما اختنق في عصرنا ولم يشقى الإنسان بترابه ووقته كما يشقى في قرننا، ولم يتأذى الإنسان بمنجزاته كما تأذى إنسان الآلة، فاستغلال الإنسان إذن للتراب والوقت لا يعطي بالضرورة حضارة".[1]

الحقيقة أن مالك بن نبي لم يقف منبهرا من الحضارة الغربية في بعدها المادي، لكنه في الوقت نفسه لم يتغاضى عن قوة هذه الحضارة التي لا يمكن الاستغناء عنها، ثم أنه لم يكتفي بهذه العناصر بل جعلها موجهة بالفكرة الدينية التي تعمل على تركيبها، والأمر الأكثر أهمية هو رفض مالك بن نبي للتصورات المثالية التي لا يمكن تنزيلها على الواقع

[1] صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 106.

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

كما أنه يرفض أن تكون الفكرة تعويضا عن هذا الواقع وليست تفكيرا فيه من أجل تغييره.

المراجع والمصادر:

1. الموصللي أحمد. (2001). تجارب التنوير وإخفاقاتها في العالم العربي. مجلة عالم الفكر، (123- 142). الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
2. العروي، عبد الله. (2000). إرث النهضة وأزمة الراهن. في كتاب شربل داغر وآخرون، عصر النهضة مقدمات ليبيرالية للحداثة، (277- 293) بيروت، المركز الثقافي العربي.
3. البيلاوي، حازم وآخرون. (2000). النهضة العربية الثانية، تحديات وآفاق، ط1. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
4. باروت، محمد. (2004). الدولة والنهضة والحداثة مراجعات نقدية، ط2. سوريا، دار الحوار.
5. بدران مسعود، بن الحسن. (2000). الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1. قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
6. بن نبي، مالك. (1981). الفكرة الأفروآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا، دار الفكر.
7. بن نبي، مالك. (د، س). آفاق جزائرية. ترجمة الطيب الشريف، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية.
8. بن نبي، مالك. (1986). مشكلات الحضارة، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع.
9. بن نبي، مالك. (2005). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط6. دمشق، دار الفكر.
10. بلقزيز، عبد الإله. (2009). من النهضة إلى الحداثة، ط1. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
11. سعود، الطاهر. (2006). التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1. بيروت، دار الهادي.
12. شربل، داغر. (2000). السؤال عن النهضة تحديثا للأمل. في كتاب شربل داغر وآخرون، عصر النهضة مقدمات ليبيرالية للحداثة، (17- 31) بيروت، المركز الثقافي العربي.
13. صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، فكر الحركة وحركة الفكر، ط1. الجزائر، دار قرطبة.
14. صديق، شافية. (2006). إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر، الجهاد الفكري الفردي، ط1. الجزائر، دار قرطبة.
15. غليون، برهان. (1990). اغتيال العقل، محنة العربية بين السلفية والتبعية، الجزائر، موفم للنشر.
16. -Faid, Salah. (2018). Culture et conversion culturelle dans l'Islam Dynamismes réflexifs de Malek Bennabi. revue el khitab, 12(1), 219- 241
17. Faid, Salah. (2018). Méditations de Malek Bennabi autour d'une démocratie islamique.
18. Journal of Social Sciences and Humanities, 14(7), 844- 863.

المنارة للاستشارات